قوله امرأة العزيز فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم فوصفت ظاهره بالجمال وباطنه بالعفة فوصفته بجمال
الظاهر والباطن فكأنها قالت هذا ظاهره وباطنه أحسن من ظاهره
وهذا كله يدلك على ارتباط الظاهر بالباطن طبعاً وقدراً وشرعاً والله أعلم
بالصواب

فصل ومن ذلك قوله تعالى

والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الصحيح أن
ن وق وص من حروف الهجاء التي يفتتح بها الرب سبحانه
بها بعض السور وهي أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخما
سية ولم تجاوز الخمسة ولم تذكر قط في أول سورة إلا وعقبها بذكر
القرآن إما مقسماً به وإما مخبراً عنه ما خلا سورتين سورة كهيعص
ون كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم
نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل إليك المر تلك آيات الكتاب
وهكذا إلى آخره ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها
وجلالتها إذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها وأنزلها
على رسله وهدى بها عباده وعرفهم بواسطتها نفسه وأسماءه و
صفاته وأفعاله وأمره ونهيه ووعيده ووعده وعرفهم بها الخير
والشر والحسن والقبيح وأقدرهم على التكلم بها بحيث يبلغون
بها أقصى ما في أنفسهم بأسهل طريق وقلة كلفة ومشقة وأوصله
إلى المقصود وأدله عليه وهذا من أعظم نعمه عليهم كما هو من أعظم آياته
ولهذا عاب سبحانه على من عبد إلهاً لا يتكلم وامتن على عباده بأن
أقدرهم على البيان بها بالتكلم فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه
على كمال ربوبيته وكمال إحسانه وإنعامه فهي أولى أن يقسم

بها من الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والنجوم وغيرها من المخلوقات
فهي دالة أظهر دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكماله وكلامه وصدق
رسله وقد جمع سبحانه بين الأمرين أعني القرآن ونطق اللسان وجعل
تعليمهما من تمام نعمته وامتنانه كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان
علمه البيان فبهذه الحروف علم القرآن وبها علم البيان وبها فضل
الإنسان على سائر أنواع الحيوان وبها أنزل كتبه وبها أرسل رسله
وبها جمعت العلوم وحفظت وبها انتظمت مصالح العباد في
المعاش والمعاد وبها تميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد وبها
جمعت أشتات العلوم وبها أمكن تنقلها في الأذهان وكم جلب
بها من نعمة ودفع بها من نقمة وأقيلت بها من عثرة وأقيمت بها من حرمة
وهدي بها من ضلالة وأقيم بها من حق وهدم بها من باطل فآياته
سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان ولولا عجائب صنع الله
ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب فسبحان من هذا صنعه
في هواء يخرج من قصبة الرئة فينضم في الحلقوم وينفرش في أقصى
الحلق ووسطه وآخره وأعلاه وأسفله وعلى وسط اللسان وأطرافه
وبين الثنايا وفي الشفتين والخيشوم فيسمع له عند كل مقطع من
تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع الآخر فإذا هو حرف فألهم
سبحانه الإنسان بضم بعضها إلى بعض فإذا هي كلمات قائمة بأنفسها
ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها إلى بعض فإذا هي كلام دال على أنواع
المعاني أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً ونفياً وإثباتاً وإقراراً وإنكاراً
وتصديقاً وتكذيباً وإيجاباً واستحباباً وسؤالاً وجواباً إلى غير ذلك
من أنواع الخطاب نظمه ونثره ووجيزه ومطوله على اختلاف لغات

Copyright © King Saud University